

# وثائق الخريجي تكشف ملامح الحياة خارج سور المدينة القديم

مقتنيات حياة اجتماعية هائلة كانت تدور خارج السور خصوصاً في موسم الحج بخلاف ما عرضت له الكتب التاريخية



(الوطن)

رسم للمدينة المنورة عام ١٧٢١ (من مقتنيات الخريجي)

## المدينة المنورة: خالد الطويل

قراءة مغايرة للسائد في أذهان كثير من الباحثين والمؤرخين في تاريخ الجزيرة العربية خصوصاً المهتمين بتاريخ مكة المكرمة والمدينة المنورة يتوقع أن تقدمها مقتنيات الباحث في مجال العملات والمخطوطات القديمة عبدالمجيد الخريجي والتي عرضها لـ "الوطن"، وتكشف ملامح حياة اجتماعية هائلة كانت تدور خارج سور المدينة القديم خصوصاً في موسم الحج بخلاف ما عرضت له الكتب التاريخية والتي كانت تركز على الحياة الاجتماعية داخل السور، وكذلك عرضها لمجموعة من الصور والرسومات النادرة لفنانين عالميين. وليست النقوش والزخارف واللقطة الفنية وجودة التذهيب والمستوى

الفني وحدهما ما تؤكد عليها تلك التركيبة الثقافية بل يشير عدد منها إلى مستوى الحراك الفكري والأثني الذي تميزت به منطقتا الحرمين. تذهب بعض تلك المخطوطات والتي ظل الخريجي يجمعها بحسب قوله لـ "الوطن" لأكثر من ٤٠ عاماً تنقل فيها بين الشرق والغرب وأمريكا خلال حضوره لعدد من المرات العالمية، لرسم ملامح الحياة الاجتماعية البسيطة والفلكية المعقدة وكذلك الجنسية والطبية التي عرفت عدداً من الحضارات الإنسانية حيث تعامل فيها أطباء تلك المرحلة مع عدد من الأمراض المستعصية. وتبرز إحدى الرسومات التي يعود تاريخها لعام ١٨٨٢ والتي رسمها أحد الفنانين الأوروبيين قوافل بعض الحجيج وقد نصبت

خيامها خارج سور المدينة حيث تنتثر الخيام إلى جوار بعض قلاع المدينة ومساجدها وبعض معالمها القديمة، وتكشف الصورة عن أن الحياة كانت تدب حتى خارج ذلك السور الطيني وهو المشهد الذي يفسره الخريجي بأنه دلالة على صغر مساحة المدينة جغرافياً حينها والذي ربما دفع بالحكومات المتعاقبة عليها للاستفادة من المساحة التي كانت خارج السور، وربما كانت تنتظر في تلك اللقطة السماح لها لدخول المدينة. وتروي صورة أخرى لفنان أوروبي يعود تاريخها لعام ١٨٨٥ قصة أحد أهم ملامح التراث الإسلامي حضوراً في وجدان المسلمين في ذلك الزمن وهو ما يسمى بـ "المحمل المصري". والمحمل كان عبارة عن صودج

يتكون من عدة قطع من القماش والذي عادة ما يكون مزخرفاً بالآيات القرآنية ويحمل على جمل خاص حيث كان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحج.

ويلفت نظر من يقف على مخطوطات الخريجي التاريخية مجموعة من المصاحف المذهبة مختلفة الأحجام والتي تكشف نقوشها الدقيقة وخطوطها الملونة وقبل ذلك جودة التذهيب فيها عن براعة من اشتغل عليها حتى خرجت بهذه الصورة، وهو ما تشير إليه إحدى المخطوطات التي يعود تاريخها إلى قبل ٢٥٠ عاماً والتي تحمل عدداً من الصفحات التي توضح مخطط المسجد النبوي الشريف والحرم المكي وتوضح

رسوماتها طبيعة المقامات الدينية التي كانت موجودة في مكة المكرمة حيث يلتف المقام المالكي والحنفي والحنبلي وكذلك الشافعي بشكل شبه دائري حول الكعبة المشرفة. وتبين إحدى الرسومات التي يعود تاريخها إلى القرن الـ١٩ قيمة النخلة في حياة أهالي المدينة باعتبارها الملمح الأبرز الذي يظهر لك حين تقف على لوحة المدينة و يبرز فيها المسجد النبوي بمأذنه الست حينها وقد احتشد النخل بعدد من المواقع التي تدور حوله. وتنقلك صفحة أخرى من نفس تلك المخطوطة المذهبة إلى عدد من معالم البقيع بحسب ما ورد بنص المخطوطة وهي "قبة الإمام مالك" صاحب كتاب الموطأ وهو مالك بن أنس والذي يلقب بإمام دار الهجرة

وصاحب المذهب المالكي، وكذلك "قبة فاطمة بنت أسد" أول امرأة هاشمية تتزوج هاشميا بحسب مصادر تاريخية وهي زوجة ابن عمها أبي طالب وأم الخليفة الرابع علي بن أبي طالب. كما تحتفظ مكتبة الباحث بعدد من المخطوطات الطبية والتي تتجلى من خلالها جوانب طبية دقيقة تكشف براعة الأطباء في تلك الفترة. ومن بينها مخطوطة تحمل عنوان "حل الموجز في الطب" لمؤلفها جمال الدين محمد بن محمد الأقسراشي في حل مشكلات كتاب "الموجز في الطب لابن النفيس" حيث تم ترتيب المخطوطة على أربع فنون أولها في قواعد الطب عملية وعلمية. أما الفن الثاني فكان في الأدوية

والأغذية فيما خصص الفن الثالث في الأمراض المختصة بالأعضاء وأسبابها وعلامتها ومعالجتها وخصص الفن الرابع في الأمراض التي تختص بعضو دون عضو وأسبابها وعلامتها ومعالجتها حيث التزم فيها المؤلف بمراعاة المشهور من الأدوية والأغذية. ويبرز من بين القطع التي احتفظت بها مكتبة الخريجي مخطوط فارسي يعود تاريخ نسخه لعام ١١٤٤ قام بكتابته بخط النسخ الفنان سيد حسين الحسيني والذي يعد من التحف الجميلة حيث إن جميع آياته محاطة بماء الذهب وتم تمييز الأجزاء وأنصافها بزخارف مميزة، وذكرت عليه حواشي باللغة الفارسية أما صفحاته الأولى فزخرت بماء

الذهب واللونين الأزرق والأحمر، وورد في أوله ذكر لجميع أسماء سور القرآن في مربعات مذهبة محاطة بزخارف وكذلك وسطه ميمز بزخارف ذهبية لافتة. ولم تخل أرفق مكتبة الخريجي من بعض المخطوطات التي عالجت بنفس لا يخلو من الطرافة عددا من المسائل الشرعية التي دار حولها الخلاف و من بينها "رسالة في بيان حكم التتن" -الدخان- لمؤلفها الذي لم تقدم المخطوطة سوى اسمه الأول "عبدالأحد" وكتبت بخط اليد حيث يناقش فيها المؤلف حكم شرب الدخان حينها لدى عدد من المذاهب التي من بينها الشافعية والحنفية وكذلك المعتزلة مستحضرا عددا من القواعد الفقهية التي ذكرها مجموعة من العلماء.

# من وثائق بلدة العمارية

محيذيف هذا من حملة السلاح من آل علي أربعون رجلاً، وكانت إمارة العمارية آنذاك فيهم.. ويسمون أخيراً (السماهرة).. جاء في تاريخ ابن بشر أنه أثناء الحروب القائمة بين آل سعود في الدرعية وبين دهام بن دواس في الرياض أنه حينما



علي هذا، فذكر لي الدكتور محمد أن لديه وثيقة تعود إلى عام 1280هـ ذكر فيها ناصر بن علي.. ولعرفة المزيد عن السماهرة (آل علي) جاء في كتاب معجم اليمامة - للعلامة الشيخ عبد الله بن خميس، (الجزء الثاني ص 182) ذكر شاعر

من أهل العمارية قال يدعو بالسقيا لنخل محبوبته الكائن في العمارية:

الله يانو على الغرب ناشي  
يا زين في الغدري تشاقق بروقه  
عساه إلى جا مبهل بالرشاش  
يسقي لنا غرس طوال عنوقه  
عساه يسقى غرس راعي القماش  
اللي محيذيف على جال سوقه  
ومحيذيف هذا نخل ملتف مغدق له  
طلع نضيد لأسرة السماهرة (آل علي)  
وكانت أسرة كبيرة أثيرة يسكن قصر

عندما كنت أقلب بين يدي وثائق خاصة ببلدة العمارية طالعت أسماء كبيرة من الأسر التي كانت تسكن في بلدة العمارية قديماً قبل أن يتفرقوا وينتقلوا للعيش في الرياض والأحساء وضرماء وغيرها من مدن هذا الوطن العزيز، ومن بين الأسماء التي وقع عليها بصري في الوثائق الخاصة بنخل لآل فرزان في العمارية عام 1210هـ: (سيف العجاجي وسليمان بن ثاقب، وناصر بن هلال، وآل غنيم، وعبد الله بن سليمان بن عون...) وفي الوثيقة الثانية بدون تاريخ (ناصر بن علي ومحمد عبد الله ابالغنيم والحرشان) وهؤلاء لا ينبغي المرور أمام أسمائهم مرور الكرام، ولا بد أن نشير لهم إشارة تليق بهذه الأسر ولأن المقال لا يتسع لاستعراض هذه الأسر مفصلة سأكتفي في هذا المقال باستعراض إحدى تلك الأسر السماهرة (آل علي) التي وردت في الوثيقة الثانية على أن استكمل ذكر باقي الأسر في مقالات تالية.

انضمت منفوحة إلى الدرعية أحب دهام أن ينتقم من الدرعية فأغار على العمارية وقتل عبد الله بن علي وعقر إبله واليوم خرب قصر محيذيف ومات نخله وباد أهله.. فسبحان من لا يزول ملكه ولا معقب لأمره.. انتهى كلام ابن خميس.. وكان آخر أمراء العمارية من السماهرة، محمد بن علي السمهري المتوفى عام 1354هـ تقريباً.

## متعب بن صالح الفرزان العمارية

### ناصر بن علي السمهري

نص الوثيقة الثانية: (بسم

الله الرحمن الرحيم شهد محمد ولد عبد الله ابالغنيم وناصر بن علي شهدا الجميع بان راشد أبو عنبة أصلح لعل بن فرزان على صحة من عقله وجسده بنصف حوية المذكور في العمارية عن ما يدعي به علي بن فرزان على راشد وعلى ولده محمد وقبيل علي بن فرزان الصلح كتب شهادتهم محمد وناصر إبراهيم بن حرشان يبلغ من نظر فيه السلام من مغاني المسلمين وصلى الله على محمد).

ولكي أتحقق من الفترة التي عاش فيها ناصر بن علي اتصلت بأحد أبناء أسرة السماهرة الدكتور محمد بن عبد الله السمهري، وقرأت عليه الاسم الموجود في الوثيقة، وسألته إن كان يعرف السنة التي عاش فيها ناصر بن



الوثيقة الثانية



الوثيقة الأولى

# ٦٧ صورة عن المملكة بعيون إيطالية

معنوق الشريف . جدة

تشارك دارة الملك عبد العزيز بالتعاون مع أرشيف الصور الفوتوغرافية (كراف) في إيطاليا غدا، في الدورة الثانية من معرض «المملكة

العربية السعودية ١٩٤٦ - ١٩٥٤م . صور إيطالية» في العاصمة روما.

ويضم المعرض ٦٧ صورة التقطها المصور الإيطالي إلو بيتاجلي عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الشرقية



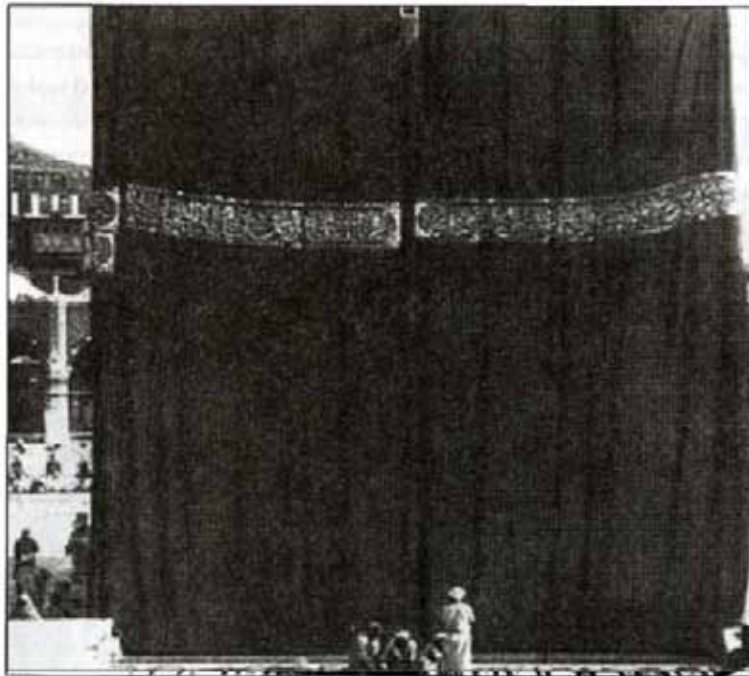
د. فهد السماري

عن قيمتها التاريخية في تاريخ حياة البحر والمهن والقلاع الأثرية وحركة البيع والشراء في الأسواق التجارية في المنطقة. وأوضح الأمين العام للدارة الدكتور فهد السماري، أن المعرض يعد مناسبة مهمة

ضمن إطار التعاون الثقافي بين الدارة والمؤسسات الثقافية في إيطاليا، وقال: إن الدارة تسعى لتوقيع اتفاقية تعاون علمي مع (كراف) للحصول على هذه المجموعة المصورة التي بلغت أكثر من ١٠٠٠

صورة توثق لبداية انطلاق ظهور الزيت في المملكة، والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على حياة المنطقة، ومن ثم إضافتها إلى أرشيفها الخاص وتهيئتها للباحثين والباحثات فيما بعد.

خلال ثماني سنوات إبان عمله رئيسا لقسم التصوير في شركة أرامكو السعودية خلال الفترة ١٣٦٥ - ١٣٧٤هـ (١٩٤٦ - ١٩٥٤م)، ويتمتع هذه الصور بجودة ومهنية عاليتين، فضلا



صورة للكعبة التقطها المصور إلو بيتاجلي منتصف القرن الميلادي الماضي. (عكاظ)



# نقوش إسلامية قديمة شاهد على حضارة عروس المصانف



## الطائف- هلال الحارثي:

والمخربشات الصخرية، ثم قام العالم الأثري أدولف جروهمان في عام ١٩٦٢م بنشرها في كتاب عنوانه «بعثة فليبي وريخمان ولبنز في الجزيرة العربية القسم الأول النقوش العربية»، واحتوى كتابه مجموعة من نقوش الطائف. ومن المهتمين في هذا المجال الدكتور حسن الباشا والدكتور محمد الفهر والأستاذ مناحي ضاوي القحامي وسعاد ماهر ومجدد خان وعلي المغنم وسامي الصقار وحسن علي أحمد إسماعيل والأستاذ حماد السالمي والدكتور ناصر الحارثي. وقد وردت عدة إشارات عن بعض النقوش في محافظة الطائف في كتب المؤرخين مثل تقي الدين محمد الفاسي أو الرحالة مثل: محمد صادق باشا وخير الدين الزركلي وشكيب أرسلان ومحمد حسين هيكل أو مهندسين أمثال: توتيشل وريكس أو خبراء معماريين أمثال: عثمان رستم، وتلاحظ في هذه النقوش أن النقاش لم يلتزم بقاعدة معينة بحكم ظروف الموقع وشكل الصخرة وحجمها والمواقع في رؤوس الجبال والهضاب وبطون الأودية والشعاب وعلى بعض أحجار السدود وكان ذلك في الأماكن الزراعية وأماكن النزهة، وعلى الدروب القديمة كالفنون الممتدة على طول درب القديمة من الهدا إلى ثقيف. وكذلك في باطن صخور الكهوف، وبالنسبة لعدد النقوش فيلاحظ عددها يربو على أربعين نقشا في منطقة واحدة وفي بعض المناطق نفا ما يزيد على عشرة نقوش وفي بعض المناطق ما بين نقشرين وثلاثة. وتنقسم هذه النقوش إلى عدة أنواع من حيث صيغتها ومضمونها فمنها آيات قرآنية ونقوش تمجيدية وتأسيسية ودعائية وتعريفية وإخبارية وتأكيدية ونقوش ذات مضمون نصحي ويغلب عليها الطابع الإيماني وذلك لقرب تاريخها من عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

تزرخ محافظة الطائف والمراكز التابعة لها بعدد من النقوش الإسلامية والتي تم نقشها على واجهات الصخور العظيمة وعلى أبواب ومدخل الحصون الأثرية والقرى والقلاع القديمة. وتتوزع هذه النقوش في أماكن متفرقة بمحافظة الطائف وقراها تم حصرها في المواقع التالية: الردف، وغدير البنات، وأم العراد وميسان ووادي داماء ببلاد بني الحارث والسر والمخاضة ووادي عريضة والهدا ووادي النمرور والعرفاء ووادي قريقر وبلاد بني مالك وبلاد ثقيف والسييل ونخب وأم الصواعق والمظهر وأوسال برنية والمخاني والثلاثاء ووادي مريع والحقاير وغبرة مكن ووادي جفن وضرس ماضب إضافة إلى النقوش المحفوظة في مكتبة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وقصر شبرا التاريخي ومركز المعلومات التابع لبلدية الطائف ونادي الطائف الأدبي وفي بعض المدارس والمؤسسات الخاصة وبعض المهتمين بذلك وذلك كما ورد في (النقوش العربية المبكرة بمنطقة الطائف) للدكتور ناصر الحارثي. ومن هذه النقوش ما يحتوي على أسماء وشخصيات لها صلة برجالات صدر الإسلام أيضا وجودها في منطقة مهمة وفي ذلك دلالة على مدى انتشار الخط العربي في أوسط الناس بمنطقة الحجاز. كما يبرز الحاجة إلى اظهار الدور الذي أسهمت به الطائف في نشأة الخط العربي وتطوره.

وقد نشر هذه النقوش بعض الباحثين في مقدمتهم العالم الأثري (جورج مايلز) الذي كتب مقالة بعنوان «نقوش إسلامية» مبكرة بالقرب من الطائف في الحجاز. وقد نشر ذلك في مجلة دراسات الشرق الأدنى عام ١٩٤٨م. وقامت بتصوير ونسخ عدد كبير من النقوش